

التعليم الابتدائي في لبنان

كما يريد أن يكون

بنلم سامي الشاس

المحاضر لدى عمدة الاستئناف

المتكلم هذا المساء بالمحاضر . انا هو مقرر لما قام به غيره من
استطلاع آراء الخبراء ورغباتهم في موضوع التعليم الابتدائي في
لبنان . فالأفكار اذاً ليست افكاره ، بل هي افكار ارباب
التعليم انفسهم . وهذا افضل واجدر بالانتباه .

ولا تخفى اهتية هذا الموضوع . وقد زادها بروزاً ما زاه من اهتمام به ،
في بلاد توالى عليها الخطوب ، قدّعت الى اعادة النظر في اساليب التعليم
والتهذيب حتى المتبعة في تثقيف أجيال ابنائها . ولعلهم هم المقصودون خاصة .
لأن السن التي يتفتح فيها العقل ، هي التي يتأثر فيها أثره الأطول بل النهائي
احياناً . وقد نجد في الرجل التام الرجولية أثر الغلام الناشئ أكثر مما نجد اثر
الشاب . ذلك ان الطابع الأول يظل في اعماق التأثيرات التالية فلا يكاد يحوه
شيء . أو لم يقل برغسون « أن الانسان يظل اسير آرائه الأولى ، مهما يصنع
للتخلص منها . وإن ينفها بالديناميت في شبابه ترجع اليه يوماً آخذة بثأرها . »
أو ليس من حق لبنان ان يستفيد من اختبار غيره ، فيقوم بواجبه تجاه هذه
الناشئة الحائرة بين المنازع والمشارب المتضاربة . وان تكن الشؤون الاجتماعية ،
في بلادنا ، ترداد خطورةً باتصالها بالمشاكل الطائفية فلا يجوز لنا اهمالها ، ولا
تبرر هذه الصعوبة نكروصنا عن المناقشة فيها . وقد طالما أنجل البحث في هذا
المشكل . حتى رأى منظمو الاسبوع الحاضر ان قد حان الوقت لفرضه ودرسه
بجراحة تترفع عن النظريات والمباحثات المقيمة .

وما الذي يقتدر اليه التعليم الابتدائي في لبنان ؟

سؤال طارحناه على من يُحسّن الجواب عنه ؟ على ارباب التعليم انفسهم ، اولئك الذين يحيون بحياته . وهذه اجوبتهم متراكمة لدينا . فلنعاول عرضها وتنسيقها :

أو يمكن ذلك في تنوعها واختلافها ؟ أو ليست تتباين الى ما لا نهاية له ؟ وأية نتيجة يجوز ان نستخلص منها جميعاً ؟

من الحق ان التعليم متعلّق بالطائفة ، فهو منظور اليه ، من عدّة فواخ . بنظار الطائفة المختلفة باختلاف الطوائف . ولكن من الحق كذلك ان دارس هذه الأجوبة يشعر بالجدل اذ يرى الاتفاق عاماً في الشئون الاساسية ، على زغم التباين في دقائق التطبيق . ويتضاعف جدله عندما يتحقّق اننا لم نترك طائفة او ملة الا استطلعنا رأيا في هذه المشكّلة المهمة . فالنصارى والمسلمين والدروز ، الكاثوليك والبروتستانت والارثوذكس ، الموارنة والسريان والارمن ، الاميركان والفرنسيون ، الهلانيون والمرسلون ، جميعهم ارسلوا الينا الاجوبة الضافية . ورأينا جميعهم يتفقون في إقرار الغاية من التعليم والطرق المؤدية الى هذه الغاية .

اما الغاية فهي التربية قبل التعليم . واما الطرق فردّها الى تنظيم تعليم وطني حق .

الغاية من التعليم

يتفق مراسلونا جميعهم على نقطة جوهرية . وهي ان التعليم ليس كل شيء يمكن التليذ ان يتوصّل الى معرفة القراءة والكتابة والحساب ، ويظنّ ميقترأ الى الشيء المهم في التعليم ، الى الجوهر التهذيبي ، الى التربية التي هي اساس كل علم . لقد حفظ كثيراً من المعلومات . ولكن كيف حفظ ؟ وكيف درّب على إنالته الحكم الصائب ؟ وألخلق المستقيم ؟ والقلب الصالح الكبير ؟ ذاك القلب يشروع الافكار السامية . وهل أفهم ان من واجبه الطرح الدائم نحو الكمال فالسل على افادة القريب ؟

هذه التربية الجامعة بين الاجتماع والاخلاق والدين ، غير المنصرفة عن الاهتمام بالجسد ، هي ما يهمّ مرّاسلينا من ارباب المدارس .

١ - التربية البدنية

اما في ما يخصّ التربية البدنية فيحذرون من مجاوزة الحدّ في إجهاد الذهن . وأي كارثة تصيب المجتمع ، اذا اهمل المرّبون شأن الجسد ، في سبيل انشاء فلاسفة مرقى ! ليعمل التلامذة من ست الى سبع ساعات فقط في اليوم في ردهات موافقة للسادى الصّحية . وهو اقصى ما يُطلب اليهم من جهد عقلي ، في نظر الآنسة أليس قنذلفت ، من مدرسة الصنائع والفنون الدمشقية . اما سائر ساعات النهار فتُنفق في أعمال رياضية مننظمة وموجهة توجيهاً مدرجاً نحو الألعاب الرياضية جميعها ، كما يقول الاستاذ مشنوق مدير كلية المقاصد الحريية في حرج بيروت .

ولدينا الآراء الكثيرة في هذا الموضوع ، وكأها تمّ عن جراءة وبعد نظر ، في تربية الجسد . وقد تناول هذا البحث ، قبل اربعين سنة ، عالم كبير في الشئون التربوية ، هو رليم جاييس ، فجعل اهم مشاكل التربية في اصلاح الجهاز العصبي . قائلاً : اجملوا من هذا الجهاز صديقاً لكم محالفاً ، والأ انقلب عدواً ضاراً . فهو الذي تحتاجون اليه في الساعات الخطرة والايام العصيبة . واذا ما علمتم على تمرين اعصابكم يوماً منذ الصغر ، فانلتوها الصحة والطمانينة ، كانت لكم نعم الممين في حاجتكم اليها ، اثناء الكوارث والاضطرابات .
تربية الأعصاب ! أو لسا بأمس الحاجة اليها في يومنا هذا . وكأنه لم يمرّ على قول الفيلسوف المرّي اربعون سنة !

٢ - التوازن العقلي

أو ضروريّ ان نُضيف الى ما تقدّم ان الجسد لا يُربّى لائقاً الجسد فحسب . وان غايقتنا ليست بان نجعل من ابنائنا رجال مصارعة . وان « أعصاب الفولاذ » اذا ما حصلوا عليها بالسرّين ، لا تفيد وحدها ، ولا تفني عن سائر

مرامي التربية . وامي فضل يكون للدرسة البنائية اذا اكتفت بان تخرج للوطن حيوانات جميلة متناقة الاعضاء ، سليمة الاجسام . ولا يخفى ان الجسد يكون حافظ العقل وخصه مماً . ولم يُخلع العقل عن مقامه ، والحدثة اوان البشرية لتفتخر بسقراط التامس اكثر من افتخارها بمجترير ستورات ميل الخليع السين . . .

وهو ما ترمي اليه التربية العقلية والخلقية والاجتماعية والدينية التي يفيض في وصفها مراسلوننا ، ولهم الحق .

لقد لخص مونتانيه (Montaigne) المثال الاعلى لنتاج هذه التربية بوصفه «الرأس الحسن الصنع» . فاقامه مناقضاً للرأس الملائن ، والعقل السطحي ، الممرور بالقياسات المادية ، المعتز بالمشاحنات اللفظية ، المتعصب بشكوكه ، الطقيلي ، المتعصب ، المنصرف عن الناس ، مذعياً السوء ، عاجزاً عن كل عمل بنائي . كل هذه المظاهر العقلية تناقض التربية الحق . اما هذه فمن مظاهرها الشعور بواجب الفرد الاجتماعي ؛ مع ساحة فتاة غيرة ولكن دون اندفاع خيالي ؛ ورجبة في التقدم ولكن ضمن احترام التقاليد السالحة والانتباه للاحوال والظروف ؛ وثقة بالنفس دون غرور ولا تهور . وخلاصة كل ذلك توازن عجيب نادر تشير اليه ضمناً اقوال مراسلينا في مختلف الجهات من تربية النفس . ولنفصل بعض ذلك مستدين الى هذه الاقوال :

١ - ومن اولها التربية الدينية الاخلاقية التي يريدنا الاب ديد اليسوعي منشرة في القرى انتشارها في الاوساط المدنية . ويرغبها سيادة المطران بطانيان ، والاب جندر اللعازاري ، على تقدم دائم . أو ليس الدين اثبت قواعد الاخلاقيات ؟ بل قاعدتها الوحيدة في نظر الكثيرين ؟ وهذا التعليم المسيحي الذي يأمل سيادة المطران مبارك أن يراه في المحل الأرفع من المدارس البنائية ، يُحفظ ويُشرح يوماً فيوماً ، أو لا يظهر ، في عصرنا ، اداة الخلاص الوحيدة للكثيرين من اولئك الذين كانوا ، للأمس القريب ، يعتقدون بإمكان ايجاد اخلاقيات دون قاعدة دينية ، وبالتالي دون تبة ولا عقاب ؟

وغنى عن البيان ان هذا الإصلاح في التهذيب الديني الاخلاقي يجب ان

يكون يعزول عن الاستنثار والضغط على الضمائر ، كما يقول الاب ادمون الكبوشي . يجب ان يتصف هذا التهذيب بروح الامانة ، والتعاون ، والتساهل ، واحترام العمل والنظام . وهكذا نؤمن الوصول ، يوماً ما ، الى توحيد الاخلاقيات في بلادنا

وأية ضمانة لنا ، في صدور تضاربت فيها الآراء . تضارب النزعات والمثل العليا ، افضل من أن نرى المذاهب الخاصة جميعاً تذوب في الايمان المشترك بالله ؛ ذلك الايمان الذي تشير اليه السيدة ع . الدرزية آملة ان ترى يوماً ما فضيلة التساهل لا تكفي باحترام عقائد الغير ، بل تتسامى حتى تفوق نفسها منتقلة الى التفاهم فالمحبة الفعالة . وعندئذ يمكننا ان نبتدى الاعمال اليومية المدرسية ، وفقاً لرغبة السيدة ع . ، « بنشيد الصلاة الداعية الى الضمير المشترك . »
أمل بعيد التحقيق !

وليس من يتعامل ذلك . ولا شك في ان الجهد التي تبذل في هذا السبيل ستصطبغ ، بالمنازعات المتأبدة مدة القرون ، بظواهر الجهل ، والاختيار ، والانتكماش كل على نفسه المغفلة وعقائده الخاصة ؛ بل قد تصطبغ بفكرة عن الألوهة هي اقرب الى التفريق منها الى الجمع ، لأنها اقرب الى التواكل والتخاذل في التأمل العقيم منها الى التقارب في الجهد ، والتوحيد في العمل المشترك .

وهو ما اشارت اليه السيدة سوتو قائلة : « ان فكرة الله المثلة بالعضاء . والقدر ، اللاجئة في كل شي . الى القول : « من الله ا » ، تدل على كسل وتواكل يتنعان الجهد والتفكير . بل تدل على عقلية شب انهكته صورة الالهة المائلة في العهد القديم . فيجدر اذاً بتدريس العلوم ان يوسع هذه الفكرة القديمة مولداً منها الايمان بالله بدعونا الى الدرس ، فالى الاطلاع على الاسباب والنتائج في هذا العالم المادي الذي نعيش فيه . »

ب - اما في مجال التربية الاجتماعية فيرى مراسلونا ان التعليم يفتقر الى الاصلاح الوافر . فان فكرة المجتمع ، وفكرة الوطنية ، تتضاءلان امام النزعات الابنائية ، شخصية كانت ام طائفية . وكلهم يجمعون على ضرورة المسل في

سبل تعزيز وطنية نيرة تغذيها فكرة الكرامة والشعور بالمسؤولية تجاه الوطن .
وقد اهتم السيد لاترويت ، مدير المدرسة اللبنانية ، بالمظهر الملكي من
هذه التربية الاجتماعية . فرغب في ان ينظر المهذبون ، في توجيه التلامذة المبني ،
الى مييزات محيطهم ، وحاجات البلد اللبناني . قال :

« يجب علينا ان نُهدد للترازن الاجتماعي ، والنهضة الاقتصادية ، بتوجيهنا
القوى توجيهاً اصوب ، وبانتخابنا انتخاباً أفضل للقدنات والقيَم . »

وزاد اخوة المدارس المسيحية ، ناظرين الى ناحية عملية من الموضوع : « يجب
ان يُسهر على الصلة الصغار ، فيُدفع عنهم جشع بعض ارباب الأعمال من الذين
يستخدمونهم فور خروجهم من المدرسة لقاء اجور زرية تقريهم من الشقاء ،
اذ لا يدفعون لهم الا اربع الى خمس ليرات في الشهر ، دون غذا . . »
وسنعود الى هذا المشكل الملكي .

على ان هناك امراً غير هذه تعلق خواطر مراسلينا . وقد اجمع الكثير
منهم على السؤال : هل تعتقدون ان المدرسة تكفّن وحدها من القيام بهذا
التهديب الديني ، الاخلاقي ، الاجتماعي ؟ واذا لم يجد الولد في عائلته ، كل
يوم ، وفي محيط عمله ، بعد تحصيله الدروس ، جواً صالحاً ينمي فيه تلك العادات
الحسنة التي استفادها في مدرسته ، ألا نكون قد بنينا على رمل ، أو غرسنا
بجهد اشجاراً تقفّى زهراتها قبل الثمر ؟

ولا دوا . لهذا ألا بتعاون وثيق بين المدرسة والعائلة ، وبعمل دائم على
تطهير الشارع ومشاهده ، وبتنظيم المنشآت الاجتماعية العامة كدعوة حماية الصغار
في لبنان وامثالها .

٣ - روح التعليم ولفته

هذا هو الاتجاه الذي يودّ مراسلونا ان يوجهوا فيه التعليم اللبناني .
وهو يتناول فكرة واسعة في المدرسة ، كما رأينا ، اذ يشمل التربية البدنية
والاخلاقية والاجتماعية . بيد انه يفرض اننا حللنا مشكلين جوهريين في تعليمنا
اللبناني وهما : اي روح يجب ان يتضمن هذا التعليم ؟ أليكون ميّالاً الى الروح

الغريبة ام يكفي بشرقيته وحدها ؟ ولا يخفى ان هذا المشكل يهيم التعليم والتربية معاً . وهو يقود الى درس مشكل آخر : ما هي اداة هذا التعليم ؟ ار ما هي اللغة التي ينبغي ان نستعملها فيه ؟

١ - اما مشكلة الاتجاه العام في ميل التلاميذ اللبناني فتشاق بالتردد بين الاستراق والانتزاع .

ويجمع مراساونا على الرأي باننا لا نخل المشكل بالمقابلة النظرية بين الثقافتين الغربية والشرقية ، والحكم في ايتهما افضل بحدّ نفسها . انما يجب الأخذ بالامر الواقع في بلادنا . فتتحقّق بالفعل اتجاهات واضحة نحو الثقافة الغربية . للبناني صفات ثابتة من الإيمان المتين ، والتقوى التقليدية ، والمتابعة على الجهد ، والانصراف عن الترف وزخارف العيش ، إلا انها تأثرت في عصرنا بكثير من العادات الدخيلة ، والأخلاق المستوردة . أتى بعضها مع مهاجرين الراجين الى اوطانهم . ونتج البعض الآخر من انحدار سكّان جبالنا الى المدن الراضحة اخلاقها نحت عب . استعباد مستطيل . فكان ان روح الاستقلال الشايع والإيابة التمرّد ، صفة الجليل المنيع ، اخذ يتضاءل في جو المدينة المشع ، في قرون الاستعباد ، باللاطف حتى الذل ، وباللين حتى الصعارة . لقد استفاد اللبناني ، في جوار المدينة ، مرونة في الماملات ، ومقدرة على انتهاز الفرص . ولكنه فقد الكثير من خلقه النبيل . وفقد ، كذلك ، الملائمة الدائمة بارضه الجبلية . وتولّد هذا الخلق .

وكان ان الجليل الذي أدرك الرجولية بُعيد الحرب الكبرى أخذ يفتش عن مُصلح لهذه الحال في الثقافة الغربية . وتبعته الى هذا المنزع الاجيال المتعاقبة . ولكن هل جاءتنا هذه الثقافة بالقائدة المترخاة ؟ هل كان حالاً ، في اصلاح فاسدنا ، كل ما نقلناه عنها ؟

ذلك اننا لم نأخذ عن الغرب روح الحرية وحده ، بل نقلنا ثقافته كاملة بكل ما فيها من حسن وسي . بكل ما قفرض من تطورات ، وتولّد من حاجات جديدة .

وروح الحرية نفسه الذي تهاقتنا عليه حالاً في بلاده ، ألا نرى انه كثيراً ما تحول ، في عقليّة افرادنا غير المتعدّة ، الى شي . من الثورة على كل نظام ، هر أبعد ما يكون عن الماسمة في العمل البنائي . أو لم تقدنا هذه « الحرية » المستوردة الى مجتمنا دون تبيد ، الى انظة سياسيّة سرعان ما ظهر فإدها ، فضرورة اصلاحها السريع . وكيف لا نذكر هنا عبدة نظامنا الدستوري الذي وُلد فجأة سنة ١٩٢٦ ، منقولاً عن الشرائع الدستورية الفرنسية الراقية الى السنة ١٨٧٥ ، فاضطررنا الى تعديله سنة ١٩٢٧ ، اي بعد سنة من ولادته ؛ ثم عدل مرة ثانية سنة ١٩٢٩ ، ثم عُلق سنة ١٩٣٢ . ثم عُغير سنة ١٩٣٤ حتى عُلق نهائياً منذ سنتين .

وسبب كل ذلك أننا اعملنا ، في نقلنا هذه المؤسسات ، أمراً جوهرياً ، وهو السؤال ، بادي ذي بدء ، هل توافق بلادنا هذه الدساتير المجلوبة ؟ على فرض انها موافقة بمقد نفسها . لقد تناسينا ان المؤسسات الياية الفرنسية ، التي كانت فرنة قد اخذت ثمن من فسادها ، لم تولد فجأة في تلك البلاد . بل كانت ثمرة تطور تاريخي وسياسي متطيل . تناسينا كل هذا ، واعتبنا بنعمة النظام البرلماني المأبظة علينا ، منبارة العلة بتقاليدنا ونظنا التاريخية . ولم نكن على الأهمية الكافية للأخذ بنظام سياسي لم تتطلبه تقاليدنا وطبيعتنا . فأخفق ، وكان لا بد من اخفاقه ، جاراً وراءه هذه الولايات المبروقة والتي لا تزال نئن منها .

وقد يطول بنا الكلام اذا فصلنا ضروريات التربية المدنية والوطنية التي يرغب مراسلوننا في ان تُعلم منذ عهد الدراسة الابتدائية . انها توجب الوطني الى معرفة واجباته المدنية ، مع تفهم حقوقه ، فلا يطالب بالثانية قبل قيامه بالاولى ، من احترام السلطة ، ودفن الضرائب ، وما شاكل ، مبيدلت حتى مطالبة السلطة باحترام الحريات الشخصية . ذلك ان الظلم لا يقل قباداً عن الغرضي .

النقل والتقليد هما الخطران اللذان يحذرهما مديرو التعليم اللبنانيين . لأن النقل ، دون تمييز ، يولد ، في مجال التهذيب ، ما ولته من مساوي في مجال

السياسة ، اذ تأتي نتائجه مقلعة غير طبيعية ولا مرافقة لحاجات البلاد. وهكذا القول عن كل ثقافة اجنبية اذا ما نُقلت اليها دون تمحيص ، ودون إعداد . فانها ، ولا سيما اذا كانت تفوق ثقافتنا ، تولد تلك العقول المنفردة بتفكيرها ، المنقطعة عن محيطها ، المترفة عن مواطنها حتى لا تفهمهم ولا يفهمونها . مثابها في ذلك مثل الشرائع الثورية التي تُفرض فجأة ، فلا يطلبها التطور ولا يتحملها الشعب . غروس غريبة لا تلبث ان تذبل وتجنف ، لانها منقطعة الاصول ، فلا تتناول غذاءها الحيوي من ارض البلاد التي نُقلت اليها .

واننا نأسف ألا يتسع بنا المجال فنسرد صفحات قيّمة للسيدة سرتو ، حاملة على ذاك النوع من التغرب او الاستغراب يتطلبه بعض اللبانيين في سبيل الانتفاع المادي ، او في سبيل النظرّف والتحدّق ، مما لا يوافق في شيء جوهر الطبع اللبناني الاصيل .

ولا يهجزنا ان نوجد حلاً مرافقاً لطبيعة هذه البقعة ذات المدينة الخاصة ، وقد اتجهت ، من ناحية ، جهة البحر المتوسط وحضارته الغربية ، واستندت الى الشرق من ناحية أخرى .

وليس الكلام عن التعليم الثوري والتعليم العالي . فانها سيثجان حتماً الى الجهة التي توافقها ، على كونها لا يتناولان إلا العدد القليل من الشعب . اما التعليم الابتدائي فيمكن ان نوجد له اتجاهات متوازناً مرافقاً لثقافات الشعب . وقد أيدت مراسلتنا هذه الآراء بقوة وصراحة قائلة :

« ان التهذيب التربوي الذي نحمله الى هذه البلاد لا ينبغي ان يُفرض كشيء خارجي مصطنع ، حتى وان رغب فيه الشعب رغبة المعجب المخلص . بل يجب ان يكون متوافقاً كل التوافق مع غريزة هذا الشعب الروحية . مهتمنا نحن ان نحمل الجديد ، ولكن ينبغي لنا ان نؤسس مدرسة ذات علاقات حيوية بالبلاد التي نأتيها من الغرب بما نود ان نعطيها اياه . وكيف القيام بهذا التعليم ؟ ذلك انه اذا اردنا ان تكون حياة ، فلا بد من القيام بتطعيم حق ا »

ثم تقول ان افضل طريقة يقوم بها التربويون لمرض آرائهم وجعلها مقبولة هي ان يعملوا هم باخلاص على فهم عقلية بلادنا ، ومحبة شعبنا . ولا بد من هذا

التفاهم لمعرفة الحاجات الصحيحة في مجال التعليم والتبذير . وبالتفاهم وحده يتسع النفوذ المقبول ، لا المفروض ، المحترم العادات والتقاليد ، الساهر على ان لا يحدث التساين الخطر بين المدرسة واهل التلميذ . لأن هرؤلا . ، وان كانوا لا يزالون على البساطة الفطرية ، قد يثقلون افضل صفات الوطن . ولا بدّ للتبذير المصري من ان يحترم ما في العادات القديمة من روعة مؤثرة .

ويشذو الشرط وحده ، اي بغربة جميع العناصر الدخيلة . ووافقة للبيئة اللبنانية ، يمكن القيام بالعمل المجدي .

على هذا الاسّ الوطني للتعليم ماذا يجب ان نبني من المعلومات ؟ يقول الكثيرون بضرورة التوسع في التعليم الابتدائي العملي بل الثاني نفسه . ينبغي ان يطلع صغار اللبنانيين على شؤون بلادهم ، على تاريخهم ، وتقاليدهم ، ومقدّرات وطنهم الاقتصادية ، وعلاقاتهم مع جيرانهم بالنسبة الى مركزهم الجغرافي ؛ ومع كل هذا يجب ان نعزّز التعليم الزراعي في القرى ، والصناعي في المدن ، والتعليم المتزلي في مدارس البنات .

ولا شك في ان تعليمنا الحاضر ميّال الى النظريات اكثر منه الى التطبيق العملي . وهو ما يأسف له الاساتذة ، فيتوقون الى إعداد التلامذة إعداداً أمثل لمجابهة صعوبات الحياة ، بتعزيز الناحية العملية في اذهانهم ، وتمويدهم النشاط والإقدام . « وذلك بتلقينهم دروس اشياء ، واعمالاً يدوية ، موافقة لما يروونه في محيطهم . وهكذا يصبح التلميذ ، وهو لا يزال في المدرسة ، شاعراً بلذة الاختراع والاكتشاف ، ولذة الاختبار الشخصي . ولهذا ينبغي ان يكون للمدرسة بستان صغير ، وسهل للتجارة معها كان حقيراً . »

ويزيد الاب ادمون انه يجب مساعدة التلامذة على ايجاد مهنة لهم يتقونها فوراً خروجهم من المدرسة .

اما هذه الهيئة فيكاد يجمع المرسلون على أنها مهنة الأرض . « إنه لمن القريب ، على قول بريدة « لاسيري » ان لا نجد مدرسة زراعية في هذه البلاد العائشة بفضل الزراعة . نحن لا نرغب في ان نجعل من ابنائنا مهندسين زراعيين . ولكن لنعلم ، على الأقل ، ابناء الملاكين شيئاً من مبادئ الادارة

الزراعية ، وتنظيم المزرعات ، كما ينبغي ان نطلع ابناء الفلاحين على المعلومات الضرورية بشأن انواع المزرعات التي تنبت في مناطقهم . ويجب ، في هذا ، ان نبدأ بالاساس ، فنثني مطمين على بعض المعرفة بالشؤون الزراعية ، فيثرونها بدورهم على تلاميذهم بأسلوب يقرن النظرية بالعمل .»

ويفيدنا الاستاذ ستوارت دُد ، من الجامعة الاميركية ، معاومات جديدة بكل اهتمام ، في هذا الموضوع ، قال :

« الغاية الاساسية من مدارس القرى هي ان تُعدّ تلامذتها ، من صبيان وبنات ، حياة القرية . وليس لمدرسة القرية ان تكون مرعاة لمدارس المدن ، ولا ان توتّب تلامذتها الى التعليم الثنوي . من هذا المبدأ تنفرّج النتائج التالية : ينبغي ان تصيح الزراعة ، النظرية والعملية ، اهم موضوعات التدريس . ويلها علم الصحة . اما القراءة فيجب ان تُستخدم لمطالعة النصوص الموافقة البيئة القروية ، لا لنهم الشعر العربي القديم والادب المدرسي . واما التاريخ والجغرافية والعلوم فعليها ان تكفي بالمحل الثنوي . ويجب ان يعزّز التعليم الصناعي للصبيان ، والمتربّي للبنات . واذا أمكن ، ينبغي انشاء شركات تعاونية ، كما هي الحال في الدانرك ، واسرج ، وبلغارية ، والمند ، ومصر ، وفلسطين . وليس من يُشكر ما قامت به هذه الشركات من تحيين الحياة الاقتصادية في تلك البلاد . وعند ذلك يُصبح من مناهج التعليم شرح المبادئ التعاونية . ولا يخفى ان هذه الشركات التعاونية ، اذا ما عزّزتها الحكومة ، وعضدها مصرف مركزي ، قادرة على مساعدة الفلاحين في حلّ مشاكلهم الاقتصادية ، والصحية ، وحسم المشاحنات بين القرى ، وملء الفراغ في الحياة الريفية ، ذلك الفراغ الممل الذي يعزّز القرعة الى المدن في الشيبة القروية .»

وعلى هذا الوتر من ضرورة تعزيز التعليم الزراعي يضرب الاخوة المريميون ، آسفين على أنّ الارض تومت ، في بلادنا ، كما في اوربة . اما في بلادنا فان خطر الانصراف عن الارض يبدو اشدّ هولاً ، لأن مدنتنا لا توفر للاجئين اليها المشاغل والاعمال الصناعية المتكاثرة في مدن اوربة .

على ان في مدنتنا صناعات صغيرة يجب تعزيزها ، وتوجيه بعض التلاميذ

نحوها كصناعات التجارة والحداثة وما اليهما .

ومما يجب إصلاحه ، واعادة النظر في تنظيمه ، تعليم البنات . فهو بحاجة ماسة الى الاتجاه انجماً عملياً ينظر الى مصير البنات في الاسرة ، وفي الحياة . آخذاً ، قبل كل شيء . بالتعليم المتزلي . من طبخ ، وغسل ، وخياطة ، وما يتبعها من تطريز وتحرير ، اذا أمكن . هذا ما يطالب به سيادة المطران صانع ، جاسماً الى صوته اصوات اكثر مرالسينا .

ويجب ان نشير الى ان هذا التوجيه العملي والمهني للتعليم الابتدائي ، الذي يطالب به الجميع ، قد خرج من حيز الآمال والوعدات الى حيز التحقيق في بعض مظاهره . من ذلك ما قام به حضرة الابائي باسيل غانم ، رئيس الرهبنة اللبنانية العام ، من تجربة سيكون لها الاثر البعيد في الشؤون الاجتماعية . فقد انشأ تعلقياً زراعياً في بعض مدارس الرهبانية ، ودعا العاطلين عن العمل الى حث اراضي الرهبنة وزرعها بشروط تحوّلهم الملكية التامة لقسم من هذه الاراضي بعد ان يستثروها بضع سنوات .

ب - اما لغة التعليم ، او الأداة التي يجب ان تُستعمل في المدارس ، فيجمع غالب المرسلين على ان التعليم الابتدائي يجب ان يكون باللغة الوطنية .

«يازم صغارنا ان يتكلموا اللغة العربية ، ويتلقوا الماهرات بالعربية . فان ذكاهم يكون أكثر ثمراً باستعمالهم لغة الامم . حتى اذا ادركوا التسع السنوات اقبوا على اللغة الفرنسية ، فثقفوها ، ولكن دون ان يهملوا التحدث بالعربية في مدرستهم .»

هذا ما تراه الأذنة قندلفت . ويشاركها فيه لا اللبنانيون فقط بل الاساتذة الاوربيون انفسهم . وهذه السيدة سولتر ترى انه «من الواجب ان يُخصّ تعليم اللغة الفرنسية بابناء المدن وحدهم ، وابناء القرى الكبيرة» . ويقر الاستاذ لاترويت بانه «مهما يكن من رغبته في نشر لغته الفرنسية ، يرى هذه اللغة قليلة الفائدة للعائلة وابناء المدن الذين يؤتمرون المدارس الابتدائية الوطنية .

وانه بإمكانهم ان يتعلموا بأنفسهم ، اذا ما عايشوا البيئات المختلطة في المدن الكبرى ، ما يحتاجون اليه من المفردات الفرنسية التي تسهل معاملتهم مع الفرنسيين .

٥

... وها اننا انتهينا في هذا القسم الاول ، وهو الأطول ، من عرض آراء الاساتذة ومديري المدارس ، في غاية التعليم الابتدائي وطرق توجيهه . فرأيانهم يجمعون على ان الغاية منه التربية والتدريب قبل التعليم ، وانه يجب ان يشجع الى تهذيب الجسد والروح معاً ، متصفاً بالصفة الوطنية ، مستخدماً اللغة الوطنية .

٢

الطريق الى الغاية

يتعلق القسم الثاني من مشكل التعليم الابتدائي بالطريق المؤدية الى بلوغ الغاية منه ، فيسأل : هل نترك للحكومة ان تنظم هذا التعليم فتوزعه هي على ابناء الرعية ؟ ام يجب الاهتمام بتميز المدارس الخاصة ، وهي الكفيلة بنشره ؟ وغني عن البيان ان لكل من النظريتين المتعاكستين حزباً قوياً في بلادنا ، كما ان هناك كثيراً من دعاة التوفيق يعرض للحلول المتوسطة .

اما النظرية الاولى القائلة باحتكار الحكومة للتعليم فتدعي ، على الغالب ، الاوساط العلمانية والاسلامية ، مؤيدة السلطة في قولها ان التعليم ، اذا لم تقوم به الدولة ، اصبح عرضة للتأثر بالخصائص الطائفية التي قد تؤدي الى اضرار التهذيب الوطني الشامل .

وهو ما يعبر عنه بصراحة مدير المدرسة العلمانية فيأسف لكون المدارس الرسمية لا تضم الا ٢٠.٠٠٠ تلميذ مقابل ٦٠.٠٠٠ يختلفون الى المدارس الخاصة . ويتفق مع مدير مدرسة المقاصد الخيرية في القول ان التعليم الابتدائي المجاني الإلزامي — وهو تعليم يرغب فيه الجميع — لا يمكن ان يُحقق تماماً الا اذا تدخلت فيه الدولة تدخلاً تاماً .

واما الاوساط المسيحية فانها معاكسة إجمالاً لمبدأ احتكار الدولة للتعليم .

تقول هذه الاوساط انه لمن الؤهم الحاطى ان تصور المدرجة الرسمية تمثل التهذيب الوطني . اما هذا التهذيب الحق تقوم به بالأولى تلك المدرسة الحاخة القدية ، المنبقة من الأرض ، الخليقة وحدها بالمحافظة على التقاليد الوطنية ، الساهرة على إنالة تلاميذها تلك الروح الدينية الأخلاقية التي جعلناها احدى الغايات الاساسية للتعليم . اما المدرسة الرسمية فلا تظهر حكومية في نظر سيادة المطران صائغ ، ألا بالخارج فقط . وهي في حقيقتها بعيدة عن روح الحياذ التي تدعيا . هي طائفية تنتمي الى طائفة واحدة ، الى الطائفة الاسلامية . ويريد الاب ديد أنها « إرث تركه الحكومة التركية التي لم تكن تعترف إلا بالمدارس الاسلامية . »

ويستج سيادة المطران حيقاري انه يجب ان تُعزَز المدارس الحاخة وان تُبذل لها المساعدات الوافرة ، بل ان تُعتبر كالمدارس الرسمية .
وبين هاتين النظريتين التماكنتين مجال حلّ مترسّط . وهو ما يراه الكثيرون في الوقت الحاضر ، حتى من ارباب النظريتين ، اعتباراً لأحوال اليوم التي تفرض الحلول الموقّعة . وهذا رأينا ارباب السلطة أنفسهم يمتفون موقّتا بالمدارس الطائفية ، كما ان ارباب هذه المدارس يتناضون ، موقّتا كذلك ، عن المدارس الرسمية . ذلك ان اصحاب النظرية الاولى يقرّون « بان الانتقال من المدارس الطائفية الحاخة الى المدرسة الرسمية الموحدة لا يمكن ان يكون إلا تدريجياً . »
ومعلوم انه من الصعوبة بمكان إلغااء المنشئات الحافلة بوقار الزمن ثم هناك سبب مادي هو ان موازنة التعليم الرسمي لأعجز من ان تبدله بالمدارس الحاخة جميعها .

ولا يخفى ، فوق ذلك ، ان الإصلاح المجدد ، اذا ما اردنا ان يكون ناجماً ، يجب ان يُطبّق وفقاً لمنهاج تلم في التنظيم المادي والتهديبي . وما احوج التعليم الرسمي الى هذا التنظيم . يجب ان توزع المدارس على جميع المناطق . فيبني ، في القرية المهنة من المنطقة ، بناء خاص يكون جديراً بمرکز التعليم ، يُنظر فيه الى مقتضيات الفن التعليمي ، والى صحة التلاميذ ، مع الاهتمام بإيجاد مسكن للمعلم في البناء نفسه . ثم يجب درس منهاج مبرن للتعليم يوافق اشغال

القرويين في المراسم المختلفة ، وهي اشغال كثيرة ما تتطلب معاونة ابائهم ، ويستهدف حاجات البلاد آخذاً بالاتجاهات السلية التي أشرنا اليها . ويجب ، قبل كل ذلك ، الاهتمام بتفريخ المدين وتنشئتهم تنشئة وطنية خاصة تستند الى الثقافة العامة ، والتهديب السلبي الخاص .

والى ان يتحقق هذا الامر ، يجدر بالسلطة ان تراقب التعليم الخاص مراقبة فعالة . وهو من حقها ، ومن واجبها كذلك . كما انه يجدر بها ان تولي المدارس الخاصة ، مقابل هذه المراقبة ، اعانات وافرة متتابعة .

هذا ما يكاد يجمع عليه ارباب الحلّ المتوسط ، وما يقبل به اصحاب النظريتين المتماكتين قبولاً تفرضه الاحوال الحاضرة .



قد اطلنا في هذا المرض الموضوعي الخاف ، رغبة منا في اطلاع الجمهور على ما اتصفت به اجوبة المسؤولين من روح تجرد وتساؤل خليق بكل اعجاب . لقد توصلوا ، على تبان نزعاتهم المانوية ونظراتهم المذهبية ، الى تفهم حاجات الوطن اللبناني جعلهم يجمعون ، اربكادون ، على اقرار الغايات ، والطرق ، والمناهج نفسها في إصلاح التعليم اللبناني . وقد رأيناهم ، حتى في مشكل الدولة والتعليم ، يقبلون بالحلّ المتوسط ، على ما في آرائهم من اختلاف بهذا الشأن . فليفضلوا بقبول شكر القائمين بهذا الاسبرع الاجتماعي ، لما اظهروه من تقام وددناه شاملاً سائر مظاهر حياتنا الخاصة والعامة . اذا رأينا جميع ابنا الوطن يتصرفون مشاحناتهم الطائفية والإقليمية ، مؤمنين ان لا حياة للبنان الا بوضع مصلحته فوق المصالح جميعها .

على اننا ، حتى في هذا الأمل ، زاننا مضطرين الى الاتجاه نحو مهدي الناشئة ، ارباب التعليم الابتدائي ، فنضع فيهم ثقنا التامة ، وارجين ان يكونوا عند هذه الثقة |

